

القيم الليبرالية بين الواقعية والممارسة الافتراضية

إيمان محمود أحمد محمود زايد (*)

تمثل المجتمعات الافتراضية Virtual Communities عبر الإنترنت، في الوقت الحالي العامل الأساسي للتغيير في المجتمع من خلال تهيئة متطلبات التغيير عن طريق تكوين الوعي من خلال المضمون الذي يتم تداوله عبر الرسائل الاخبارية والمنديات الحوارية أو الثقافية أو حتى الترفيهية كل هذا لا يؤدي إلى إدراك الحقيقة فقط بل يسهم في تكوين الحقيقة وحل إشكالاتها، وتعد مواقع التواصل الاجتماعي من أحدث منتجات تكنولوجيا الاتصالات وأكثرها شعبية، وبرغم أن هذه المواقع أنشئت في الأساس للتواصل الاجتماعي بين الأفراد، فإن استخدامها امتد ليشمل النشاط السياسي من خلال تداول المعلومات في مختلف المجالات، فقد أصبحت مواقع التواصل الاجتماعي اليوم من المؤسسات المهمة التي تقوم بدور مهم في إكساب عادات وسلوكيات جديدة وأداة مهمة من أدوات الوعي الاجتماعي والسياسي والثقافي والتي أصبحت في متناول الشباب ، وتلعب أيضا دوراً حيوياً في تكامل منظومة الثقافة والأهم في هذا الصدد هو أن البنية المعلوماتية الجديدة توفر تفاعل بين منظومات الثقافات المختلفة، فالثقافة التي تجمع بين الأفراد الذين يتفاعلون عبر شبكة المعلومات الدولية International net أطلق عليها لفظ الثقافة السبيرية Cyber culture وهي مجموعة متكاملة من النقلات النوعية علي الصعيد الثقافي^(١)، فقد احتلت ثقافة الإنترنت مكاناً بارزاً لها عند دراسة التجمعات الافتراضية فهي ثقافة خاصة بالمجتمعات ما بعد القومية^(٢) Post national community

(*) هذا البحث مستل من رسالة الدكتوراه الخاصة بالباحثة، وهي بعنوان: [خطاب المجتمع الافتراضي ودوره في تشكيل القيم الليبرالية دراسة ميدانية على عينة من طلاب جامعة سوهاج]، تحت إشراف: أ.د. حمدي أحمد أبو مساعد - كلية الخدمة الاجتماعية - جامعة أسيوط & أ.د. صابر محمد عبد ربه - كلية الآداب - جامعة سوهاج.
(١) نبيل علي، الثقافة العربية وعصر المعلومات، رؤية لمستقبل الخطاب الثقافي العربي، القاهرة: عالم المعرفة، عدد ٢٦٥، ٢٠٠١، ص ٥٠١.

²⁾ Irvein Martin ; Global Cyber Culture, Reconsidered, Cyberspace Identities, and the Global Information City,
www.georgetown.edu/faculty/Irven/articles/globalculture.html

يشكل هذا النمط الثقافي الجديد إطاراً ثقافياً خاصاً يجمع بين المنخرطين في التفاعلات الافتراضية.

ففي الوقت الذي ينتشر فيه نمو العلاقات الاجتماعية والسياسية العابرة للقوميات والحدود يزداد التفاؤل تارة والنشأوم تارة أخرى. فالبعض يري أن هذه العلاقات السياسية الجديدة تؤدي إلي تدعيم الحرية والحوار المتبادل وفتح المجال أمام تبادل الأفكار والخروج من سلطة الحكومات التي تستبد بالحرريات ، في حين أن البعض الآخر يجد أن الإنترنت ساهم في سحب الناس من مجتمعاتهم ليصبحوا أقل ارتباطاً بقومياتهم، مما يثير القلق حول مستقبل الانتماء إلي المجتمع الحقيقي Real society كما أن الإنترنت يخلق فرصاً للحكومات ليس لها مثيل لمراقبة حياة المواطنين الخاصة^(٣).

ولكن في حقيقة الأمر لكي يحدث التغيير في المجتمعات العربية لابد وأن يصاحبه تغيير في الوعي والتفكير وفي البنية الثقافية ككل حتى يتم التأقلم مع هذه الأوضاع، وأن كل ما يطرأ من تبدل قيمي أو مفاهيمي إيجابي يحدث تغييراً في الممارسات السياسية والاجتماعية والتي تعود على بناء المجتمع^(٤).

ويعد الاتصال السياسي ظاهرة إنسانية اجتماعية تكونت منذ ظهور التجمعات الإنسانية، وارتبطت بتكوين الفرد الاجتماعي والسياسي وتفاعله مع بيئته السياسية داخل وخارج مجتمعه ، فقد كان الاتصال السياسي أحد العوامل المؤثرة في التنظيمات الاجتماعية الأولى في تاريخ الإنسان يدل ذلك على قدم الاتصال السياسي باعتباره سلوكاً إنسانياً للفرد والجماعة الإنسانية، كما يتضح أن وسائل الاتصال والإعلام مرتبطة بالقيم والنظم الاجتماعية والسياسية ؛ فالإعلام بأدواته يعد من أشكال العمل السياسي، فقد أصبحت اليوم وسائل الإعلام تمثل مصدراً مهماً من مصادر المعرفة السياسية فهي تنمي الثقافة السياسية المتعلقة بالقضايا أو المؤسسات والأنظمة السياسية ، كما تعمل على زيادة الوعي والمعرفة السياسية لدى الأفراد والتأثير فيهم وتشجيعهم على

³⁾ Bruce Bower; The Social Net: Scientists hope to Download some Insight into Online Interactions , vol 161, issue 18,2002, P.28

^{٤)} السيد ياسين، المعلوماتية وحضارة العولمة- رؤية نقدية عربية، القاهرة : دار نهضة مصر للطباعة والنشر، ط ١، ٢٠٠١، ص ٩.

المشاركة الفاعلة في العملية السياسية، إلى جانب أنها أوجدت فرصة للتعبير عن آراء مختلفة.

كما ساهمت تكنولوجيا الإعلام والاتصال في أداء دور حيوي في دعم الديمقراطية حول العالم بما أتاحتها من أدوات تعبير واستراتيجيات عمل في المجال السياسي العام وبشكل أثر على أداء المؤسسات التقليدية وبما أتاحتها من مجال عام مفتوح من الأفكار والمعلومات السياسية^(٥).

حيث وفرت الثورة الرابعة للاتصال الرقمية بتقنياتها ومعلوماتها للشباب من المعلومات والأفكار والمعارف ما لم يتوفر في أي زمن مضى من التاريخ الإنساني، ويسرت لهم سبل التواصل مع العالم الخارجي، وكسرت كافة الحواجز السيادية والتقليدية التي كانت تقف حائلاً بينهم وهذا الكون الفسيح من المعلومات والمعارف^(٦).

فقد أصبح الإنترنت بشكل عام جزءاً من حياة الناس، وهذه الجماعات الافتراضية بأنماطها المختلفة باتت تشكل أهمية للعديد من المهتمين بالإنترنت علي وجه خاص وذلك ما دعا **ماريا باكاردجيفا Bakardjiva** ^(٧) إلى أن تعلن أن الحاسوب أصبح أسلوب حياة وذلك في الفصل الذي أعدته بعنوان "التكنولوجيا في حياتنا اليومية" حيث حاولت تحليل قيمة العلاقات والتفاعلات عبر الإنترنت في الحياة اليومية لمستخدمي الإنترنت مع التركيز على مشاركة الأفراد وتفاعلهم في المنتديات الإلكترونية، كما حاولت تقديم تصنيفاً لأنواع مختلفة من التفاعلات وأنماط المشاركة عبر الإنترنت مع الآخرين على الإنترنت^(٨).

لذا يتضح أن أهم ما يميز المجتمعات الافتراضية أنها متاحة للأفراد الذين يريدون المشاركة في أحد أنماطها، فالمدينة الافتراضية علي حد قول البرتا

^(٥) عادل عبد الصادق، الديمقراطية الرقمية، مفاهيم إستراتيجية، المركز العربي لأبحاث الفضاء الإلكتروني، سبتمبر ٢٠١٠، ص ١٨.

^(٦) رندا عمر ياعشن، الإعلام الإلكتروني وأثره في اتجاهات الشباب ومعارفهم وسلوكياتهم، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة عدن، الجمهورية العربية اليمنية، ٢٠١٣، ص ٧٥.

^(٧) Maria Bakardjjeva ; Virtual Togetherness: an Everyday-life Perspective, Journal of Media , Culture & Society, Volume: 25, issue: 3,2003, pp: 291-313.

^(٨) Maria Bakardjjeva; Internet Society ;The Internet in everyday Life, London, sage publications , 2005,P5.

روبرت وميشيل جينكنسون مدينة لا تنام، فهناك دائماً أفراد مشتركون في التفاعلات الافتراضية حتي في منتصف الليل .

كما أكد دي موور و وايجاند (2007) (de Moor and Weigand)⁹ أنّ تلك المجتمعات الافتراضية هي نظم اجتماعية وتقنية تميل إلى التطور بقوة وتصبح أكثر تعقيداً بمرور الوقت ، وأن هذه المجتمعات مرت بمراحل أربعة؛ هي مرحلة التأسيس والتجريب، ثمّ مرحلة التدشين والإنطلاق، ثم مرحلة النمو من الداخل ثم مرحلة النمو من الخارج ، وعبر مراحل تطورها، تسعى المجتمعات الافتراضية إلى خلق ما يسميه المهتمون بهذا الشأن الشعور بالمجتمع أو الجماعة (أو SOC (sense of community). من أين ينبع الإحساس بالمجتمع أو الجماعة؟ يوجز ماكميلان وتشافيز (1986) (McMillan and Chavis)¹⁰ أنّ العوامل التي ينشأ من خلالها الإحساس بالمجتمع فيما يلي:

- ✓ الشعور بالانتماء belonging أن يشعر الفرد بالانتماء إلى جماعة من خلال عضويتها ومتابعة ما يحدث فيها وسهولة التفاعل مع أفرادها وأحداثها.
- ✓ الشعور بالقدرة على التأثير influence/ impact من خلال العضوية في تلك الجماعة أو المجتمع الافتراضي تحدث تفاعلات من خلال المشاركة بجانب ردود الأفعال التي يتلقاها الفرد من بقية أعضاء الجماعة أو أفراد المجتمع الافتراضي، وكذلك التأثير بما يحدث في ذلك المجتمع.
- ✓ تبادل الدعم support أو التكامل وتحقيق الاحتياجات من خلال إشباع الحاجات النفسية والشعورية والارتباط الوجداني بأفراد الجماعة من

⁹) Aldode Moor& Hans Weigand ; Formalizing the Evolution of Virtual Communities , Information Systems, Volume 32, Issue 2, April 2007, Pages 223-247.

<https://doi.org/10.1016/j.is.2005.09.002>

¹⁰) David W. McMillan& David M. Chavis ; Sense of Community : A definition and theory , journal of community Psychology, Volume14, Issue1, 1986, Pages 6-23.

[https://doi.org/10.1002/1520-6629\(198601\)14:1<6::AID-JCOP2290140103>3.0.CO;2-I](https://doi.org/10.1002/1520-6629(198601)14:1<6::AID-JCOP2290140103>3.0.CO;2-I)

خلال تبادل التهاني والتعازي والمواساة والنصيحة وبطاقات المعايدة وما إلى ذلك.

✓ الثقة trust تحدث الثقة من خلال التواصل العاطفي المشترك فلا يستطيع الفرد أن يشعر بالانتماء إلى جماعة أو مجتمع لا يتبادل الثقة بين أفرادها ولا يشعر بالأمان فيه. لذلك يبذل أفراد المجتمعات الافتراضية جهداً في سبيل الشعور بالثقة من خلال المناقشات والصدقات على "الفيسبوك" مثلاً وتداول المزيد من التفاصيل.

✓ الخلفية المشتركة common background تزداد قوة التفاعلات العلاقات الافتراضية كلما تأسست على خلفية مشتركة في العالم الواقعي أو على اهتمامات وهوايات وميول مشتركة في العالم الافتراضي فمثلاً قد تنشأ تجمعات افتراضية حول قضية أو "نجم" من نجوم الفن أو الرياضة أو حول مفكر أو عالم أو شخصية سياسية.

ويمكن الإشارة أن تحقق تلك الأسباب - أي أسباب الشعور والانتماء بالمجتمع أو الجماعة في العالم الافتراضي يساعد الأفراد إلى الهروب من الواقع، وعلى هذا يظهر ارتباطاً واضحاً بين عدة عوامل منها الكبت والبطالة والفراغ وعدم الإشباع النفسي والاجتماعي في الواقع الحقيقي واللجوء إلى المجتمع الافتراضي. غير أن الميزة المهمة التي تنفرد بها المجتمعات الافتراضية في إمكانية أن التواصل لا يحدث وجهاً لوجه face-to-face ، بالإضافة إلى انهيار الحدود الجغرافية والعرقية والقبلية التي ظلت تتشكل منها الجماعات والمجتمعات لآلاف السنين.

واتفقت في ذلك Bruckman بأن الإنترنت سمح للمستخدمين عبر المجتمعات الافتراضية باستكشاف هوياتهم بسهولة أكبر، فضلاً عن الحد من الموانع الاجتماعية، والتواصل دون توترات اجتماعية كما في الحياة الحقيقية، وترك الكراهية^(١).

¹¹) Amy Bruckman; *Gender Swapping on the Internet*, Proceedings INET'93, 1993,P227. <http://www.cc.gatech.edu/fac/AmyBruckman>

فى هذا الإطار أكدت "لورا جوراك" (Laura Gurak) على وجود أربع فرضيات لتوضيح أهمية شبكة الإنترنت والدور الذى سيلعبه الإنترنت فى حياة الأفراد مستقبلاً وتتمثل فى:

الفرضية الأولى : أن شبكة الإنترنت سوف تغير بنية العمل إلى الأفضل.

الفرضية الثانية : أنها ستدعم الديمقراطية بكل أشكالها وصورها.

الفرضية الثالثة : أنها ستطور مجال التعليم.

الفرضية الرابعة : أنها ستقوم بتعميق المساواة بين الناس.

فتوضح بذلك على أن السلوك الإنسانى يتأثر بشكل كبير ومباشر بالوسائل التكنولوجية المختلفة، فالوسائل التكنولوجية المتعددة تلاقىها استجابة ثقافية محددة ، فنتم عملية تأثير وتأثر متبادلة بين التقنية المستخدمة والسلوك الاجتماعى، ولاشك أن التكنولوجيا الحديثة وما وصلت له من تطور مذهل خلال العقود القليلة الماضية ، أكد ما لا يقبل للشك بأنها قد وصلت إلى مرحلة تطور شامل فى تاريخ التكنولوجيا بشكل عام أكثر مما حدث على إمتداد التاريخ الإنسانى على مر العصور^(١٢).

كما توصلت "أماني قنديل" فى دراستها حول نظام الاتصال وعملية التنمية السياسية فى الدول النامية ، إلى أن نظام الاتصال هو إحدى الأدوات التى تستخدم من أجل تحقيق التنمية السياسية ، وقصدت بنظام الاتصال هنا أدوات ووسائل الاتصال، كما أشارت إلى أن الظروف الاقتصادية

والاجتماعية والثقافية تلعب دورها كمحدد لفاعلية نظام الاتصال وقدرة هذه الوسائل، وأشارت إلى أن فاعلية النظام السياسى فى الدول النامية مرهونة بفاعلية نظام الاتصال ، إذ تزداد هذه الفاعلية كلما ارتبطت بأيدولوجية واضحة متماسكة ومستقرة ؛ فالأيدولوجية تعنى بالنسبة لنظام الاتصال نسقاً قيماً متماسكاً ومعايير واضحة يلتزم بها النظام، كما تزداد هذه الفاعلية إذا ما ارتبطت بنخبة

(12)Laura Gurak ; *Cybercasting about Cybers pace, Computer_ Mediated Communication Magazine* ,vol 2 ,No 1,January1995,P4.

سياسية واعية بدورها إزاء الجماهير وداعية لتحقيق أبعاد نظام الاتصال والدور الذي يؤدي إليه^(١٣).

وتشير الباحثة من خلال مراجعة التراث النظرى إلى أن العديد من الباحثين أكدوا فى تسعينات القرن الماضى أن تكنولوجيا الإعلام والاتصال تدعم الديمقراطية بشكل إيجابى، كما شدد آخرون على دور هذه التكنولوجيا فى الأنظمة الديمقراطية نحو مزيد من التداول والمشاركة المباشرة للمواطنين فى الحياة السياسية ، وفى إطار أزمة الديمقراطية التمثيلية التى تعرفها المجتمعات العربية ومع انتشار الإنترنت ارتفعت التوقعات الجديدة التى كانت تشير إلى أن الإعلام الجديد وتكنولوجيا الإعلام يمكن أن تساهم فى فاعلية المسار السياسى والأداء الحكومى.

من الجدير بالذكر تميزت ديمقراطية أثينا بأنها كانت مباشرة أى تم ممارستها دون وجود نواب أو ممثلين عن الشعب، إلى أن تزايد عدد السكان وأصبح هناك حاجة إلى من يمثلهم أو ينوب عنهم فى البرلمان واتسعت تلك الفكرة لتصبح ديمقراطية غير مباشرة عبر ممثلي الشعب بعد زيادة عدد السكان وانتشار مبادئ الحرية وحقوق الإنسان وإلغاء مظاهر العبودية اتسع المجال السياسى العام، وقد نشأت الليبرالية وتطورت فى الفكر السياسى الغربى الحديث فى القرن السابع عشر، وعلى الرغم من أن لفظتي ليبرالي وليبرالية لم تكونا متداولتين قبل القرن التاسع عشر^(١٤)

ويشير مفهوم الليبرالي عند الرجوع إليه لغوياً إلى الحرية ، فالليبرالية مصطلح أجنبي إذ تعود جذوره إلى المفهوم الإنجليزى (Liberalism) ، و(libéralisme) فى الفرنسية، وهى تعنى " التحررية "، ويرجع اشتقاقها إلى (Liberty) فى الإنجليزية ، و (liberté) فى الفرنسية، ومعناها الحرية^(١٥) ، وقد وصفت بالحرية المطلقة ، لذلك لم يكن هناك اتفاق على تعريف واحد للمفهوم ، إذ يرى **دونالد سترومبيرج** أن الليبرالية مصطلح عريض يلفه الكثير من

^(١٣) أماني محمد قنديل، نظام الاتصال وعملية التنمية السياسية فى الدول النامية ، ١٩٨٠، ص ٥٦

^(١٤) الموسوعة الفلسفية العربية ، (المجلد الثانى - القسم الثانى - ص ص ١١٥٥-١١٥٦).

^(١٥) سليمان بن صالح الخراشى، حقيقة الليبرالية وموقف الإسلام منها، مرجع سابق ، ص ١٢.

الغموض والابهام^(١٦)، وجاء في المعجم الفلسفي: أن الليبرالية مذهب يقوم على احترام حرية الفرد واستقلاله ومنحه أكبر قدر ممكن من الضمانات ضد أي تعسف^(١٧).

القيم الليبرالية بين الواقعية والافتراضية:-

تستند فكرة المقارنة بين المجتمعات الافتراضية والمجتمعات الواقعية في كل جزء من أجزاء هذه الدراسة إلى فكرة من الأفكار المؤسسة في علم الاجتماع تنقسم فيها المجتمعات والتنظيمات الاجتماعية إجمالاً إلى نوعين كبيرين، هما بتعبير إميل دوركايم Durkheim المجتمعات التلقائية أو الآلية Mechanical والمجتمعات العضوية Organic، وهما بتعبير غيره المجتمعات الطبيعية والمجتمعات العقلانية، وبتعبير ويليامسون Williamson البنى أو التراكيب الهرمية Hierarchies والأسواق Markets. النوع الأول يتسم بالثبات والترتيب الهرمي الذي يستند إلى الطبقة والمكانة الاجتماعية وما إليها، أما الثاني فيتصف بالمرونة والتغير. ويتسم النوع الثاني كذلك بما يسمى بالارتباطات الإرادية الاختيارية Voluntary Associations، للارتباطات القدرية الطبيعية كالأبوة والأمومة. فتقوم المجتمعات التلقائية على الكثافة أو الازدحام، وتشكل فيها العلاقات من خلال السنّ وعلاقات الدمّ والنسب والمناصب الوظيفية وغير ذلك، بينما تقوم المجتمعات العضوية على التلاحم والمحاولات الواعية المقصودة لتحقيق الترابط، وتشبه الأسواق حيث تتأسس على العرض والطلب وتبادل المنافع والمصالح.

ومن ناحية أخرى مد الإنترنت حبال الانتقاد للقيم الديمقراطية والتي تآكلت في المؤسسة الهرمية وأصبح مدعاة للفساد السياسي والمالي وبشكل حال دون قيام المؤسسات الديمقراطية بدورها كهمزة وصل بين النخبة والجمهير، وكذلك أثرت شبكة الإنترنت في أداء الحكومات عن طريق تبني فكرة الحكومة الإلكترونية والعمل على القضاء على البيروقراطية الحاضنة للفساد الإداري، وكذلك عملت شبكة الإنترنت في جيلها الخامس ببعض الدول على إدارة العملية الانتخابية بشكل

^(١٦) عبد العزيز مصطفى كامل، الثوابت بين الإسلام والليبرالية، القاهرة، دار الكتب، ١٩٩٦، ص ٢٣.

^(١٧) مجمع اللغة العربية، المعجم الفلسفي، القاهرة، دار الوثائق، ١٩٨٣، ص ٤٣.

نزيه وحيادي عن طريق آلية التصويت الإلكتروني في الانتخابات التشريعية والرئاسية، وأصبحت شبكة الإنترنت مطبقة لأهم أسس الديمقراطية وهي إتاحة الفرصة لكل فرد للتصويت والتعبير عن رأيه والمشاركة والتنظيم السياسي والتأثير على الرأي العام والتعبير عن المصالح وكذلك العمل على تنشيط دور الأحزاب السياسية والمجتمع المدني في الحياة السياسية^(١٨). "فالشفافية والتعاون والتفاعلية هي المظاهر الكبرى التي تقترضها فلسفة الديمقراطية الرقمية، والتحولت التي تنشدها بغرض إخراج الديمقراطية التمثيلية من أزمتها، والمتمثلة في احتكار الفاعلين العموميين لمنظومة المعلومة. بالتالي فإن توافر المعلومة بات قيمة ديمقراطية في حد ذاتها، من شأنها زعزعة مفهوم السلطة التمثيلية التقليدية، دون الحاجة إلى فعل مؤسساتي منظم، والمنتخبون لم يعودوا مطالبين بتملك هذه الأدوات، ولكن أيضا ضبط استعمالاتها واستخداماتها^(١٩).

فعلى صعيد المجال السياسي أصبح الشأن السياسي متغير أساسي بالنسبة للشبكات الاجتماعية، إذ ساهمت هذه الأخيرة في تأرجح التفاعلات السياسية بين العالم الواقعي والعالم الموازي أو الافتراضي، ويتضح ذلك جليا من خلال: تعبئة الرأي العام: حيث تلعب شبكات التواصل الاجتماعي دوراً فعالاً في تعبئة الرأي العام تجاه بعض القضايا السياسية، كما أظهرت الثورة المعلوماتية مدى الوهن الذي أصاب المؤسسات التقليدية فيما يتعلق بدورها الوسيط بين الحاكم والمحكوم وبناء الانتماءات ودفع الحراك الاجتماعي والسياسي، فساعدت تكنولوجيا الاتصال والمعلومات في توفير أداة اتصال مباشرة بين الشعب والمسؤولين، بدلاً من الديمقراطية النيابية ذات الطابع التمثيلي، فقد أصبح الإنترنت سطح جديد للغايات السياسية والنزاعات، وفي بعض المناطق أصبحت شبكة الإنترنت وسيلة فعالة لقيام الثورات فقد كان لمواقع التواصل الاجتماعي مثل الفيسبوك وتويتر من تأثير بالغ في انتقال الثورات من بلد عربي إلى آخر ومن مدينة إلى أخرى مثلما حدث في مصر وفي جميع ثورات الربيع العربي، كذلك كما كانت صفحات المرشحين في انتخابات المجلس الوطني في الإمارات العربية المتحدة وانتخابات مجلس الشعب في مصر على الفيسبوك وتويتر أداة بالغة التأثير والأهمية، ولم تكن هذه

^{١٨} (وصفي محمد عقيل، التحولات المعرفية للواقعية والليبرالية في نظرية العلاقات الدولية المعاصرة، مجلد ٤٢، ٣٤، مجلة دراسات: العلوم الانسانية والاجتماعية، عمان، الجامعة الاردنية، ٢٠١٥، ص٥٢).

^{١٩} (فضيل دليو، الديمقراطية الإلكترونية بين التناؤم والتفاوت، مجلة المستقبل العربي، ٣٩٧٤، ٢٠١٢، ص٣٥).

المرّة الأولى بل كان قبل ذلك حيث شهد الإنترنت من خلال البريد الإلكتروني إرسال الرسائل الدعائية كحرب نفسية ترافق الحرب العسكرية كما حدث في حرب كوسوفو، هذا بالإضافة إلى أهمية الدور الكبير التي أصبحت تلعبه شبكة الإنترنت في نقل الأخبار والأحداث لحظة بلحظة^(٢٠).

كما أضحت المجتمعات الافتراضية تمثل مجالاً لحشد الجماهير في الاحتجاجات والتشجيع على الإضرابات محلياً، وكذلك فتحت المجال للدعاية الانتخابية وطرح البرامج الانتخابية، إذ نجد على مستوى الفيسبوك تكوين جماعات لنشر البرامج الانتخابية وكسب التأييد الشعبي، وهنا يتجلى بوضوح التقاطع بين العالمية والمحلية في نشر القيم الليبرالية حيث فتحت الشبكات الاجتماعية مجالاً لممارسة القيم الليبرالية عبر الإنترنت، في مصطلح حديث نسبياً أطلق عليه مصطلح المواطنة الافتراضية "Virtual Citizenship" التي ارتبطت بالبعد السياسي في مناقشة حقوق وواجبات اجتماعية سياسية الناشئة، خاصة في ظل التوترات التي تعاني منها الدولة القومية العربية والتي تقلص الاهتمام في ممارسة الليبرالية والحقوق السياسية في السياق الواقعي، ولذا يتجلى دور المجتمع الافتراضي الذي تنمو من خلاله المطالبة بالحقوق السياسية وسحب القضايا من الواقع إلى العالم الافتراضي الذي يعد بوابة جديدة لتكريس المواطنة وممارسة الليبرالية^(٢١).

ويؤكد لوسيان باي Lucian W. Pye^(٢٢) على التطور السياسي وأن تطور العملية السياسية مرتبط بوجود علاقة جوهرية بين العملية الاتصالية والعملية السياسية؛ فأهداف النظام السياسي في السيطرة والشرعية والمشاركة عبر انتقالها إلى المجتمع المحلي تستلزم وجود الوسائل التي تقوم بالتعبير الرمزي عن القيم والمعايير الإجرائية للنظام السياسي، وكذلك إيجاد القنوات التي تنقل مصالح ومطالب المواطنين إلى السلطة السياسية. وأشار إلى أن مشاكل التطور السياسي

^(٢٠) إلهام العوضى، أثر استخدام الإنترنت على العلاقات الأسرية بين أفراد الأسرة السعودية في محافظة جدة، مرجع سابق، ص ٦٥.

^(٢١) بارة سمير، تأثير المواطنة الافتراضية في ظل شبكات التواصل الاجتماعي على الهوية العربية: مقارنة لفهم العلاقة بين البناء والترهل، كلية العلوم السياسية، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، الجزائر، ٢٠٠٨، ص ١٩.

²²⁾ Lucian W. Pye ; **Communications and Political Development.** (SPD-1), Princeton University Press , New Jersey, United States 2015 ,P3-9.

تدور حول إيجاد وتحديد العلاقة بين الثقافة السياسية السائدة، والبنية الاتصالية الرسمية للنظام السياسي.

كما اهتم أَلْموند Almond بتحديد موقع نظام الاتصال في النظام السياسي، وشبه الوظيفة الاتصالية بالدورة الدموية، وركز على الجانب الوظيفي لوسائل الاتصال الجماهيري باعتبارها تمثل المدخل الرئيسي للتعبير عن المصالح في المجتمعات الديمقراطية، على الرغم من أن النخب السياسية قد تسيطر عليها، فالجانب الوظيفي لها يتمثل في التنشئة السياسية، والتعبير عن مصالح المجتمع، وتأييد القرارات والسياسات العامة وغيرها من الوظائف، وانتهى أَلْموند إلى القول بأن كل شيء في السياسة اتصال؛ فنظام الاتصال هو إحدى القنوات الرئيسية لتدفق المعلومات من النخب السياسية إلى الجماهير، وأيضاً لنقل مشاكل وطموحات وتصورات الجماهير إلى النخب^(٢٣).

وأكد سافيني Savigny أن شبكة الإنترنت تقوم بأدوار مهمة في الشؤون السياسية، بدءاً من تقديم معلومات حول المرشحين للانتخابات، وانتهاءً بعمليات الحشد والتعبئة السياسية، وتسهيل مهمة الأنظمة السياسية في التنفيذ سياسياً، فهذه الشبكات تجسد حرية الخطاب والمعلومات، وتعطي مؤشرات نزيهة للمعلومات كأساس يبنى عليه الرأي العام، كما أنها تعد قوة معادلة ومكافئة لقدرة الوسائل التقليدية على ترتيب الأولويات^(٢٤).

أولاً: دور خطاب المجتمع الافتراضي في زيادة المشاركة السياسية

⋮

تلعب المشاركة السياسية دوراً مهماً في تطوير آليات وقواعد الحكم الديمقراطي، والمشاركة السياسية كمفهوم بات قيد التداول السياسي في الوقت الراهن، وفي إطار ما يعرف "بالتنمية المستدامة" للمجتمعات خاصة مجتمعات العالم الثالث التي

²³⁾ Gabriel A. Almond ; "Comparative Political Systems," The Journal of Politics, Volume 18, Number 3 (Aug., 1956): 391-409.

<https://doi.org/10.2307/2127255>

²⁴⁾ Heather Savigny ; **Public Opinion, Political Communication and the Internet**, SAGE Journal Politics, Volume: 22, issue:1, 2002, page: 1-8.

<https://doi.org/10.1111/1467-9256.00152>

توصف أنظمتها بالشمولية أو بسيادة المفاهيم المتوارثة على مفاهيم المواطنة والمشاركة في صنع القرار وتحديد النخبة الحاكمة وهي في هذا الإطار ركيزة أساسية من ركائز النظام السياسي لجهة شرعيته الدستورية والشعبية.

فالمشاركة هي أرقى تعبير عن المواطنة التي تمثل جملة من النشاطات التي تساعد على ممارسة السلطة السياسية ، ولما كان الشباب في مصر يمثل نسبة كبيرة من إجمالي السكان وهم عنصر فعال وهام من قضايا التنمية وذلك دفعنا أن نؤكد ونلقى الضوء على قيمة المشاركة السياسية بالنسبة للشباب لأن الشباب هم من يملكون الطاقة والقدرة على العطاء وهم ثروة بشرية قادرة على العمل والإنتاج ، ويمكن القول أن الشباب هم الحل لكافة مشاكل المجتمع.

وتعرف المشاركة السياسية حسب علماء السياسة بكونها الأنشطة الإرادية التي يقوم بها المواطن بهدف التأثير في القرارات والسياسات ، وتشمل التصويت، ومتابعة الأمور السياسية والمناقشات السياسية ، والمشاركة في الحملات الانتخابية ، كما تتضمن أساليب التظاهر والأضراب والاحتجاج^(٢٥).

فقد أثار ظهور الإنترنت على الساحة السياسية تحولات عميقة على مستوى المفاهيم التقليدية المؤسسة للسياسة فكراً وفعالاً، كالسيادة الشعبية، والديمقراطية المباشرة ، والمساواة، والمواطن الكوني، والتفاعلية ، والاحتجاج والتظاهر^(٢٦)، غير أن المشاركة لم تعد مختصرة على الأساليب التقليدية فقط، فالإنترنت أصبح أحد المصادر المهمة لدى الشباب، فقد انتشرت المواقع الإلكترونية التي تقدم المعلومات السياسية كما أصبح وسيلة تستخدم في التعبئة السياسية وسهل جهود التجمع والتنظيم لتحقيق هدف سياسي، كما أصبح منفذ لتعبئة الشباب في العديد من القضايا المتعلقة بالحريات والحقوق العامة^(٢٧).

^(٢٥) منى محمود عليوة، المشاركة السياسية- موسوعة الشباب السياسية، مركز الدراسات السياسية الإستراتيجية بمؤسسة الأهرام، القاهرة، ٢٠٠٠، ص ٥.

^(٢٦) عبد الناصر فتح الله، صفقوا الخطبة العظيمة، الاتصال السياسي في المغرب، الرباط، مطبعة أمربال، ٢٠٠٢، ص ٨٠.

^(٢٧) أحمد سعيد تاج الدين، الشباب والمشاركة السياسية، الهيئة العامة للاستعلامات، القاهرة، ٢٠٠٢، ص ٣٥-٣٦.

حيث وفرت وسائل التواصل الاجتماعي طرائق جديدة للمشاركة السياسية أكثر فاعلية من الوسائل التقليدية كالأحزاب السياسية، والاتحادات الطلابية، ومنظمات المجتمع المدني والتي تميزت بالضعف والهشاشة^(٢٨).

كما أسهم خطاب المجتمع الافتراضي في دعم وتحفيز المشاركة السياسية من خلال توفير قنوات للمشاركة الشعبية والصعود بمستوى هذه المشاركة إلى درجة من الرقي والتنظيم الفاعل، بشكل يسهل للأفراد طرح أفكار واختيار البدائل للتفاعل السياسي عبر شبكات التواصل الاجتماعي، فقد دفع المجتمع الافتراضي بحق المشاركة في شؤون الدولة والمجتمع، ولاشك في أن وسائل وأدوات وتقنيات الإعلام الجديد قد أعادت صياغة معنى المشاركة الفاعلة ومدت في نطاقها، فالمشاركة السياسية والاجتماعية في ظل العصر الرقمي لم تعد مشاركة موسمية تنحصر في مشاركة المواطن في العملية الانتخابية والتصويت؛ بل أنها أصبحت مشاركة يومية يمارسها المواطن على منصات ومواقع الإعلام الإلكتروني، وهذا يعني أن المجتمع الافتراضي أنتج ديمقراطية رقمية فتحت مجالات جديدة للمشاركة وخلقت فرصاً واسعة لمقاربات جديدة ومبتكرة للتعليم والتعلم عن المشاركة السياسية في إطار منصات وتكنولوجيات الإعلام الجديد، حيث يفتح إطار الإعلام المنتشر اليوم فرصاً جديدة للمشاركة المدنية الفاعلة والفعالة على نطاق أوسع يعيد تطور الحركات الاجتماعية عبر الشبكة التي يتمحور تنظيمها حول الأدوات الرقمية ومنصات الإعلام الاجتماعي^(٢٩).

فقد أحدثت تكنولوجيا الإعلام والاتصال آثار عميقة وتغيرات جذرية في أساليب وأشكال التواصل والاتصال المباشر وغير المباشر^(٣٠)، كما طور المجتمع الافتراضي العديد من التفاعلات التي كانت تتم في الحياة اليومية الواقعية إلى ظاهرة قد يشار إليها على نحو مناسب كمجتمع وفسحت المجال أمام المواطنين الفرصة لتعبير عن آرائهم بكل ديمقراطية وذلك عبر الاعتماد على

^(٢٨) خليدة كعسيس، الربيع العربي بين الثورة والفوضى، مجلة المستقبل العربي، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ٤٢٤، مارس ٢٠١٤، ص ٢٢٥.

^(٢٩) منال قدواح، الإعلام الجديد: خطوات واعدة نحو بروز مفهوم جديد للديمقراطية، وآليات ممارستها رقمياً، مجلة العلوم الإنسانية، مجلد ب، العدد ٤٣، ٢٠١٥، ص ٢٣٥٠.

^(٣٠) عزة مصطفى الكحكي، استخدام الإنترنت وعلاقته بالوحدة النفسية وبعض العوامل الشخصية لدى عينة من الجمهور بدولة قطر، أبحاث المؤتمر الدولي للإعلام الجديد: تكنولوجيا جديدة لعالم جديد، جامعة البحرين، ٧-٩ أبريل ٢٠٠٩، ص ٢٦٨.

المشاركة (٣١). وقد أشار "وانج Wang وزملاءه" في عدد من الدراسات التي تناولت موضوع المجتمع الافتراضي، أن المجتمع الافتراضي أعطى فرصة للأفراد لكي يعبروا عن آرائهم وأفكارهم وعواطفهم التي لا يستطيعوا أن يعبروا عنها في عالمهم الواقعي تلك الميزة التي تعد أحد أهم مؤشرات نجاح هذا المجتمع (٣٢)، كما قدم ليسلى سكلير Leslie Sklair في تفسيره للعولمة بأنها ثقافة كونية وأن العولمة وأدواتها وما تقدمه من ممارسات سياسية وثقافية عابرة للقوميات تعد أداة رئيسية في المجال السياسي (٣٣)، وأن التحولات في الجماعة السياسية في ضوء تصور العولمة يتمثل حول الفعل عن بعد وهو يمثل مرحلة وسطية بين الإدماج والتجزئة العالمية (٣٤).

في هذا الإطار أشار "جروسك وزملاؤه Grosseck et al" أن الفيسبوك قد أحدث تحولات فكرية سياسية ثورية ترتبط بالسياسة بالنظر إلى وظيفته الاجتماعية الأساسية (٣٥).

كما حاول الشعب الصيني الاستفادة من التطور السريع والشعبية الواسعة للإنترنت ليكتسب قناة ثورية لتعبئة العمل الجماعي والمشاركة في السياسية من أجل تصور العوامل المختلفة التي تؤثر على العمل الجماعي عبر الإنترنت ليكتشف التفاعل الديناميكي بين السلطات الصينية والجمهور في هذا العصر الجديد

³¹) Peter P. Nieckarz Jr.,; **Community in Cyber Space?: The Role of the Internet in Facilitating and Maintaining a Community of Live Music Collecting and Trading**, Volume4, Issue4, December 2005, Pages 403-423

³²) Shaojung Sharon Wang , Shin -Il Moon..et..al ; **Face off: Implications of visual cues on initiating friendship on Facebook**, Computers in Human Behavior, Volume 26 , Issue 2, March 2010, Pages 226-234.

³³) ليسلى سكلير ، سوسيولوجيا النظام الكوكبي ، مجلة العولمة الطوفان أم الانقراض الجوانب الثقافية والاقتصادية، تحرير: فرانك جي لثشر، جون بولي، ترجمة فاضل جنكر ، المنظمة العربية للترجمة ومركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ، لبنان، ٢٠٠٤، ص١٢٧-١٢٩.

³⁴) ميمونة مناصرية، قراءة سوسيولوجية في المقاربات النظرية للعولمة ، مجلة علوم الإنسان والمجتمع، ع٥، جامعة بسكرة الجزائر، ٢٠١٣، ص٢٦٠.

³⁵) Gabriela Grosseck, Ramona Bran, Laurentiu Tiru ; **Dear teacher, what should I write on my wall? A case study on academic uses of Facebook**, Procedia - Social and Behavioral Sciences, Volume 15, 2011, Pages 1425-1430.

من العمل الجماعي وتأثير تكنولوجيا الاتصالات الجديدة على المشاركة السياسية والبيئة السياسية^(٣٦).

ويؤكد "ماكلوهان" أن التحول الأساسي في الاتصال التكنولوجي يجعل التحولات الكبرى تبدأ لدى الشعوب، ليس فقط في التنظيم الاجتماعي، وإنما في الحواس الإنسانية أيضاً، وبدون فهم الأسلوب الذي تعمل بمقتضاه وسائل الإعلام لن نستطيع فهم التغيرات الاجتماعية والثقافية التي تطرأ على المجتمعات فأى وسيلة جديدة هي إمتداد للإنسان، تؤثر على طريقة تفكيره وسلوكه، فكاميرا التلفزيون تمد أعيننا، والميكروفون يمد أسماعنا، والآلات الحاسبة توفر الجهد العقلي وتؤدي إلى إمتداد الوعي^(٣٧).

وللتعرف على كيفية مساهمة المجتمعات الافتراضية في نشر القيم الليبرالية يجب الوقوف على المتغيرات السياسية الحساسة، والتي ظهرت مؤخراً على الساحة السياسية، وأثرت بشكل كبير على حالة الهوية العربية بشكل عام ، فقد ساهمت الخطابات اليومية فى المجتمعات الافتراضية في تكوين وبناء وعى بالقيم الليبرالية من الناحية الإيجابية من خلال تعزيز قيم المشاركة والمواطنة والانتماء والتأكيد على حرية التعبير، التي تعتبر من أهم مقومات الليبرالية وذلك من خلال:

- ✓ تأكيد أهمية قيم (الولاء والانتماء والوطنية) واحترام الآخر.
- ✓ تكوين الشخصية الوطنية، والدعوة إلى التمسك بالانتماء والوعى السياسى للهوية الوطنية والعربية .
- ✓ احترام التعددية السياسية والاجتماعية والفكرية كعامل قوة يضمن وحدة وتماسك المجتمع العربي.

³⁶) Ting Xue, Jacqueliën van Stekelenburg; **When the Internet meets collective action: The traditional and creative ways of political participation in China**, First Published June 22, 2018 , Volume: 66 issue: 6, page(s): 911-928.

<https://journals.sagepub.com/doi/full/10.1177/0011392118783525>

^(٣٧) حسن عماد مكاوي ، ليلى حسين السيد، الاتصال ونظرياته المعاصرة، القاهرة : الدار المصرية اللبنانية، ٢٠٠٣، ص ٢٧٤ - ٢٧٥.

✓ تشجيع الحوار بين الثقافات والحضارات الهادف لنشر الثقافة والقيم الوطنية العربية.

وإذا كان الإعلام البديل قد أثر على كافة مناحي الحياة، فقد لعب المجتمع الافتراضى أيضا دوراً بارزاً في تأثيره على المجال السياسى بالإضافة إلى الاجتماعى والاقتصادى، وبالنظر إلى تأثيره على الوعى السياسى ، إذ يرى العديد من الباحثين أن الوعى السياسى باعتباره محصلة تفاعل الأشخاص في واقع اجتماعى معين، وانصهار مدركاتهم وتصوراتهم ورؤيتهم الذاتية أو الموضوعية في صيغة حقائق معرفية وقناعات إيمانية وتصورات ومسلمات، وميول ومشاعر واتجاهات وأنماط سلوك جماعية تعكس معطيات ذلك الواقع الاجتماعى الكائن بما يشتمل عليه من أبعاد ومتغيرات^(٣٨)، فإن هذه الشبكات الاجتماعية أظهرت قدرات كبيرة في هذا المجال وشكل جديد للمشاركة السياسية وذلك من خلال قيام الشباب بإنشاء صفحات خاصة لهم على هذه الشبكات يتبنون فيها قضية تقع في صلب اهتماماتهم، فيعملوا على نشرها، والدفاع عنها باستخدام مهارات التواصل والدفاع والضغط، وبذلك يمكن أن تحقق المجتمعات الافتراضية بناء الوعى الاجتماعى وتكريس مبادئ القيم الليبرالية من خلال مراعاة الأهداف الآتية:

✓ أن يدرك الشباب أهمية دوره في المجتمع من خلال الحقوق والواجبات.
✓ أن ينمى المجتمع الافتراضى الإحساس لدى الشباب بأهمية المشاركة السياسية

الاجتماعية.

✓ ينمى لدى الشباب الاحساس بالمسؤولية نحو ذاتهم وهويتهم من خلال الاشتراك في هذه الشبكات التى تتناول القضايا السياسية أو حتى الاجتماعية.
كما أن المشاركة السياسية عبر المجتمع الافتراضى باتت تشكل منظومة ثقافية متكاملة ، جعلت الفرد يتحرك نحو نمط جديد من أنماط الوعى السياسى والاجتماعى يتم ذلك خلال عملية تفاعلية تتم بين الأفراد خلال المجالات الخطابية عبر استخدام وسائل الإعلام الجديدة New Media ، وهنا يمكن توضيح أن المشاركة السياسية الافتراضية تتم عبر نوعين من التفاعل: الأول: يتم من خلال تفاعل المواطنين مع وسائل الإعلام الجديدة عبر العملية التواصلية، والثانى: يتم

(٣٨) تيتي حنان، دور وسائل الإعلام في تفعيل قيم المواطنة لدى الرأي العام- حالة الثورات وقيم الانتماء لدى الشعوب العربية، رسالة ماجستير فى العلوم السياسية ، الجزائر، ٢٠١٤، ص ٨٦-٨٧.

من خلال تفاعل المواطنين مع بعضهم البعض، فالطبيعة التفاعلية للإتصال الإلكتروني والبناء اللامركزي لخطاب المجال الافتراضي وتزايد إمكانية الوصول إليه؛ دفع العلماء في العديد من التخصصات للإعلان عن عصر جديد من الإتصال السياسي.

ثانياً: دور خطاب المجتمع الافتراضي في نشر الديمقراطية:

تعد الديمقراطية أحد الجوانب التي تأثرت بفعل هذه الثورة الإلكترونية فانقلت من ديمقراطية تمثيلية إلى ديمقراطية يصطلح عليها ب" الديمقراطية الإلكترونية". فقد عرفت الديمقراطية منذ القدم مع الحضارة اليونانية والتي تسمى بديمقراطية أثينا المباشرة ومع زيادة عدد السكان وتزايد حاجياتهم أصبحت هناك الحاجة إلى من يمثلهم في البرلمان لتتسع بذلك الفكرة وتصبح ديمقراطية تمثيلية، ومع انتشار العولمة وشيوع تكنولوجيا الإعلام والاتصال أحدثت نقلة نوعية في ممارسة الديمقراطية وأصبحت تستخدم كوسيلة فعالة لتنشيط جوهر الديمقراطية فأتاحت للأفراد الإتصال مع السلطات الحكومية بحرية أكبر والمشاركة بفعالية أكبر في كل مراحل عملية صنع القرار والتعبير عن الرأي بكل حرية ، فتكنولوجيا الإعلام والاتصال اليوم ينظر إليها على أنها تخلق ممارسة جديدة للديمقراطية بأدوات وآليات تكنولوجية^(٣٩).

ويتبادر إلى الذهن عند الحديث عن المجتمع الافتراضي ونشر الديمقراطية ، الدور الذي لعبته شبكات التواصل الاجتماعي في الثورات العربية، فمنذ عام ٢٠١١ نشرت الكثير من المقالات والدراسات وعقدت الكثير من المؤتمرات التي ناقشت أهمية شبكات التواصل الاجتماعي وقدرتها على التأثير في تحفيز المشاركة الشعبية، وتأثيرها على نماذج الحكومة التشاركية والآليات المجتمعية الجديدة، إلا أنه ومن الناحية التاريخية نجد أن انتفاضات وثورات الشعوب اعتمدت أساساً على المبتكرات العلمية والتقنيات الحديثة، التي رافقت نضال الشعوب من أجل الإنعتاق والحرية، فتاريخياً تعتبر الحركات السياسية التي ظهرت بعد الحرب العالمية الثانية منبراً سياسياً شكلت مساراً جديداً لوعي الشعوب وانتشرت مسميات لا تزال عالقة في أذهان الناس حتى الآن مثل: حركات التحرر الوطني والانتفاضات الجماهيرية والثورات الشعبية، وكانت تستخدم القوة والعنف في تحقيق أغراضها وأهدافها وترافق ذلك في أغلب الأحيان الآلة العسكرية.

^(٣٩) أحمد سعيد تاج الدين، الشباب والمشاركة السياسية، مرجع سابق ، ص ٤٠.

لكن الانتفاضات والثورات الحديثة سلكت مسلكاً آخر تماماً بالرغم من أن الغرض ذاته التي سعت من أجل تحقيقه الجماهير في منتصف القرن الماضي، الفرق هنا الوسيلة فقد استخدمت الجماهير الشعبية في شمال أفريقيا والشرق الأوسط في ثوراتها الحديثة (القوة الناعمة)، والمتمثلة في شبكات التواصل الاجتماعي، التي أصبحت سلاحاً فاعلاً بيد الشباب في مواجهة الأنظمة الطاغية وهز عروشها، هذا السلاح الفعال لا يمكن أبداً للسلطات القمعية السيطرة عليه، وإذا حاولت فإن محاولاتها تكون مفضوحة لا تتعدى التشويش أو حجب بعض المواقع، لكن هذا ليس بالأمر الصعب على الشباب لإيجاد بدائل أخرى لكسر هذا الحصار الحكومي، وبأليات عديدة في نطاق الإنترنت وشبكات التواصل الاجتماعي^(٤٠) التي لعبت دوراً أساسياً في الحراك السياسي والاجتماعي، وأسهمت بشكل كبير في نقل الوقائع الميدانية بشكل مباشر، وكذلك تعبئة المحتجين وتنظيمهم، عن طريق تسهيل التواصل فيما بينهم، ولأن الشباب هم الكتلة السكانية الأكبر في المجتمعات العربية، والأكثر شعوراً بالحرمان النسبي، والأكثر قدرة على التواصل والحركة، فلم يكن مستغرباً أن يكونوا في طليعة المحتجين^(٤١).

فشبكات التواصل الاجتماعي ذات تأثير عالي الفاعلية لم يتصوره المحللون وخبراء الإعلام والاتصال، وهذا ما لم يتوقعه الخبراء على مستوى الثورات العربية، ورغم أنها لم تكن سبباً في قيام هذه الثورات، إلا أنها جعلتها ممكنة وعجلت بها، ومنحتها القدرة على النمو، وأكسبتها مزيداً من التأييد والتعاطف محلياً ودولياً.

لكن تعد المرحلة الأولى لتحقيق المشاركة الفعالة ومن ثم التغيير، يكون عبر إيجاد وعي مشترك بالقضية جذوره الأساسية التذكير بقيمة وأهمية القيم الليبرالية كالديمقراطية وضرورة عدم التنازل عنها، وهذا ما تقوم به شبكات التواصل الاجتماعي التي تجعل بمقدور الأفراد الساخطين من قضية ما، معرفة مقدار التأييد وإعداد أولئك الذين يشاركونهم نفس الشعور، تلك القيم المشكلة للوعي المشترك بمنح الأفراد الشجاعة لإتخاذ خطوات لم يكونوا ليجرؤوا على القيام بها لولا ذلك

(٤٠) محمد المنصور، تأثير شبكات التواصل الاجتماعي على جمهور المتلقين، رسالة ماجستير في الاعلام والاتصال، الأكاديمية العربية في الدنمارك، ٢٠١٢، ص ٢٥.
(٤١) علي محمد رحومة، الإنترنت والمنظومة التكنو- اجتماعية، مرجع سابق، ٢٠١٢، ص ٨٣.

الوعي ولولا تلك القيم، مثل الخروج في مظاهرات واعتصامات ومناهضة الأنظمة المستبدة^(٤٢).

وبالتوازي مع هذا التطور في استخدامات الإنترنت ظهر مصطلح الديمقراطية الرقمية أو السيبرية، الذي عبر عن إمكانية حدوث تزاوج بين الإنترنت والنظرية الديمقراطية عبر توظيف أدوات تكنولوجيا المعلومات والاتصالات في توليد وجمع وتصنيف وتحليل وتداول كل المعلومات والبيانات والمعارف المتعلقة بممارسة قيم الليبرالية وآلياتها المختلفة^(٤٣) وتظهر العديد من أدبيات النظرية الديمقراطية عن ما يمكن أن توفره هذه التقنية لتطبيق نماذج جديدة للديمقراطية المباشرة أو الديمقراطية التشاورية أو حتى إصلاح الديمقراطية النيابية وذلك عبر إدخال طرق جديدة مثل التصويت الإلكتروني ومناقشة السياسات العامة للدولة عبر المواقع الإلكترونية أو حتى ارسال الشكاوى المحتجة والمنددة إلى جهات بعينها وغيرها من آليات الممارسة السياسية غير تقليدية^(٤٤).

ويمكن القول أن أبرز انعكاسات الثورة التكنولوجية على الفكر والعملية الديمقراطية هو العودة بمفهوم الديمقراطية إلى طابعه المباشر لتصبح الديمقراطية الإلكترونية صورة حقيقية للديمقراطية المباشرة، حيث يتمكن المواطن أن يمارسها بدون الحاجة إلى وسطاء في العملية السياسية، كما برزت الحكومات الإلكترونية والتي تركز على تعامل مباشر مع المواطن للاستفادة من خدماتها الحكومية، بل

^{٤٢} (كامل خورشيد مراد، دور وسائل الإعلام في تنشيط الحراك السياسي العربي، شبكات التواصل الاجتماعي نموذجاً، المؤتمر العلمي- بعنوان وسائل الإعلام أدوات تعبير وتغيير، كلية الإعلام، جامعة البترا، عمان، ٢٠١١، ص.٣٥

⁽⁴³⁾ Howard Rheingold ; The Virtual Community: Homesteading on the Electronic Frontier , OP.CIT ,P12.

^{٤٤} (أيه محمود نصار، " الحيز السيبرناطريقي (الافتراضي) وتحولات المجال العام: رؤي من تفاعلات افتراضية مصرية" ورقة بحثية قدمت إلى المؤتمر السنوي الحادي والعشرون لمركز البحوث والدراسات السياسية: تحولات المجال العام في مصر: ٤ تنامي الصراع ومستقبل التوافق الاجتماعي، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، جامعة القاهرة، ١١-١٢ ديسمبر ٢٠٠٧، ص.١٧.

أصبح للأفراد دور مؤثر عبر استخدام تكنولوجيا الاتصال والمعلومات في ممارسة الضغط على الحكومة والتأثير على الرأي العام وصانعي القرار^(٤٥).

ويمكن توضيح مفهوم الديمقراطية الرقمية بأنها توظيف أدوات تكنولوجيا المعلومات والاتصالات الرقمية في توليد وجمع وتصنيف المعارف المتعلقة بممارسة قيم الليبرالية وآلياتها المختلفة ، ومن ثم فهي ليست نوعاً جديداً من الديمقراطية ، بل هي وسائل جديدة لممارسة القيم الليبرالية ، وهنا نلاحظ أن التكنولوجيا الرقمية تلعب دوراً مهماً في تغيير كثير من الممارسات الديمقراطية بل وأصبحت تستحدث أشكالاً لم تكن موجودة من قبل.

كما تعددت تسميات الديمقراطية الرقمية Digital democracy فهناك من يصطلح عليها بالديمقراطية السيبرانية Cyber democracy ، وهناك من يسميها ، وأيضاً الديمقراطية الإلكترونية electronic democracy ، ديمقراطية تكنولوجيا المعلومات والاتصال Techno democracy ، إلا أن كل هذه المفاهيم تحمل دلالات ومعاني ، فنجد كارتيه Cartier عرف الديمقراطية الإلكترونية في معناها الواسع بأنها ” وسيلة لممارسة الديمقراطية المشاركة من خلال تكنولوجيا الإعلام والاتصال الجديدة ، فالديمقراطية الإلكترونية بهذا المعنى لا تعبر عن شكل جديد للديمقراطية بل ترتبط بتطبيق الديمقراطية المشاركة من خلال ما تمنحه الأدوات التكنولوجية الجديدة” ، أما أن ماكينتوش Ann Macintosh يوضح أن الديمقراطية الإلكترونية هي ” استعمال تكنولوجيا المعلومات والاتصال من أجل إشراك المواطنين ودعم العملية الديمقراطية في اتخاذ القرارات وتقوية الديمقراطية التمثيلية^(٤٦)“.

ومن هنا يمكن القول أن الديمقراطية الرقمية أسهمت في دعم وتحفيز المشاركة السياسية من خلال توفير قنوات للمشاركة الشعبية والصعود بمستوى هذه المشاركة إلى درجة من الرقي والتنظيم الفاعل، بشكل يسهل للأفراد طرح أفكار

^(٤٥) (جيدور حاج بشير ، أثر الثورة الرقمية والاستخدام المكثف لشبكات التواصل الاجتماعي في رسم الصورة الجديدة لمفهوم المواطنة: من المواطن العادي إلى المواطن الرقمي ، مجلة دفاقر السياسة والقانون، ع ١٥ ، ٢٠١٦ ، ص.٧٢٨

^(٤٦) (رمضان بن شعبان، الديمقراطية الإلكترونية كبديل لتفعيل المشاركة السياسية النموذج الإيستوني وإسقاطه على الجزائر ” مذكرة لنيل شهادة الماجستير في العلوم السياسية والعلاقات الدولية ، (جامعة منتوري قسنطينة : كلية الحقوق الجزائر ، ٢٠٠٩-٢٠١٠، ص.٤٩.

واختيار البدائل للتفاعل السياسي عبر الوسائط الإلكترونية، فقد دفعت الديمقراطية الرقمية بحق المشاركة في إدارة شؤون الدولة والمجتمع ، ولاشك في أن وسائل وأدوات وتقنيات الإعلام الجديد قد أعادت صياغة معنى المشاركة الفاعلة ومدت في نطاقها، فالمشاركة السياسية والاجتماعية في ظل العصر الرقمي لم تعد مشاركة موسمية تنحصر في مشاركة المواطن في العملية الانتخابية أو الاكتفاء بالإدلاء بصوته الانتخابي، بل أنها أصبحت مشاركة يومية يمارسها المواطن وهذا يعني أن الديمقراطية الرقمية فتحت مجالات جديدة للمشاركة وخلقت فرصا واسعة لمقاربات جديدة ومبتكرة للتعليم والتعلم عن المشاركة السياسية في إطار منصات وتكنولوجيات الإعلام الجديد على نطاق أوسع يعيد تطور الحركات الاجتماعية عبر الشبكة التي يتمحور تنظيمها حول الأدوات الرقمية ومنصات الإعلام الاجتماعي.

